

### الفصل الرابع

الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة حُثَم في العلوم الإنسانية والتطبيقية

أولاً: العلوم الإنسانية.

ثانياً: العلوم التطبيقية (التجريبية).

obeyikan.com

## الفصل الرابع: الإسهامات العلمية لعلماء قبيلة الحُثم في العلوم الإنسانية والتطبيقية

### أولاً: العلوم الإنسانية:-

تضم العلوم الإنسانية علومًا متنوعة قدم فيها علماء قبيلة الحُثم دورًا طيبًا<sup>(1)</sup> تجلّى في اهتمامهم بالتاريخ والتراجم والطبقات والأنساب وعلم التعبير، وقد جاء دورهم تجاه هذه العلوم بارزًا في عنايتهم بها وبمؤلفاتها، فضلًا عن آثارهم العلمية في كل حقل من هذه الحقول<sup>(2)</sup>؛ حيث برز بعض المؤلفين اللّخميّين في التأليف في العلوم الإنسانية بالأندلس كالأنساب والتاريخ والتراجم والطبقات، وكانت قُرْبُبة والمريّة وإشبيلية من المراكز المهمة التي بزغ فيها نجم علماء قبيلة الحُثم بمؤلفاتهم في هذه العلوم. ويمكن استعراض جهودهم في هذا الجانب وفق ترتيب العصور ليرز لنا دورهم وتطوره بالأندلس، فيما تجلّى بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس.

### 1- التاريخ:-

كان علم التاريخ من بين العلوم التي حازت على اهتمام وعناية الأندلسيين عامة واللّخميّين بصفة خاصة بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس؛ إذ تجلّت عناية علماء قبيلة الحُثم بحفظ الأخبار والأيام والمشاهد والتّواريخ، فضلًا عن الإسماع لكتب التاريخ وقص الأخبار، بالإضافة إلى التأليف في هذا العلم، حتى اشتهر منهم من كان له تقدم في الأخبار ومعرفة بأيام الناس، وعناية بالتواريخ. جدير بالذكر أن عناية الأندلسيين بالتاريخ وما يتصل به من معارف قد بدأت منذ أن أصبحت الأندلس جزءًا من عالم الإسلام بعد فتح العرب لهذه البلاد.. وكانت أبصارهم تتوجه دائمًا إلى مراكز الثقافة الإسلامية في المشرق ينهلون من مواردها<sup>(3)</sup>، وقد تجلّى ذلك عند علماء قبيلة الحُثم

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 13، جدول رقم 10): يوضح العلماء اللّخميّين المشتغلين بالعلوم الإنسانية بالأندلس.

(2) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشاف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة الحُثم بالأندلس؛ مؤلفات العلماء اللّخميّين في العلوم الإنسانية.

(3) محمود علي مكّي: السيرة النبوية في التراث الأندلسي، (مجلة الهلال، مصر، العدد رقم: 5، 1 أغسطس 1978م)، ص 102.

بالأندلس؛ إذ أسهم العلماء اللّخميّين في إدخال كتب التاريخ العام بالأندلس؛ حيث لاقت كتب أحمد بن زهير بن أي خيثمة (ت 279هـ/892م)، وكتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ/889م)، اهتمامًا عاليًا من الأندلسيين<sup>(1)</sup>، وأقبل الناس على من أدخلها الأندلس من اللّخميّين بقُرْبَة، وتجلي ذلك عند مُحَمَّد بن زكرياء اللّخمي (ت 322هـ = ... - 933م)، من أهل قُرْبَة؛ سمع الناس منه تاريخ ابن أبي خيثمة (ت 279هـ)، و"الذي بلغت أجزاءه مائة مجلد"<sup>(2)</sup>، وأثنى عليه الخطيب البغدادي بقوله: "لا أعرف أغزر فوائدًا من الكتاب الذي صنعه ابن أبي خيثمة"، كما سمع الناس منه بعض كتب ابن قتيبة الدينوري<sup>(3)</sup> (ت 276هـ/889م) وذلك بعد عودته من رحلته إلى بغداد، وكان قد سمع منه كتبه، وبالأندلس سمع من مُحَمَّد وَصَّاح، والحُسَيْنِي وغيرهما من شيوخ الأندلس كثيرًا، وسمع من مُحَمَّد بن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وشارك قاسم بن أصبغ، وابن أيمن في جميع روايتها، وكان ضابطًا ثقة، زاهدًا ورعًا، صاحب ليل وعبادة، وكانت فيه دعاية<sup>(4)</sup>.

كما تجلّى لديهم العناية بقص الأخبار؛ فاهتم بذلك في إشبيلية أبي أيوب؛ سليمان بن سليمان بن حجاج بن حبيب بن عمير اللّخمي (ت 338هـ = ... - 949م)، من أهل إشبيلية، وهو ابن أخي إبراهيم بن حجاج صاحبها: كان حافظًا للأخبار القديمة حسن الاقتصاص لها<sup>(5)</sup>.

(1) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ في الأندلس، ص 51.

(2) الزركلي: الأعلام، ج 1 ص 128.

(3) وهو مؤلف عراقي له العديد من الكتب، مثل: كتاب المعارف، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء، وغيرها. ابن الخطيب: تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، (1422هـ/2002م)، ج 10 ص 170، ابن خلكان (ت 681هـ): وفيات الأعيان، ج 3 ص 42-43.

(4) ابن الفرضي (ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج 2 ص 44، الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام ج 7 ص 465، ترجمة رقم (100).

(5) ابن الأبار (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 4 ص 84، عبد الملك المراكشي (ت 703هـ): الذيل والتكملة، ج 4 ص 70، ترجمة رقم (168).

وبدى الاهتمام حول علم التاريخ عند علماء قبيلة لَحْم من خلال حفظه؛ حيث تجلّى بقرُطبة عنايتهم "بحفظ الأخبار والأيام والمشاهد والتواريخ" خلال عصر الخلافة الأموية فيها ذكر عن محمد بن أبان اللّخمي القرطبي (... - 354هـ = ... - 965م)<sup>(1)</sup>، ولعل رصد ابن الفرضي لهذه الألفاظ ترجع إلى مكانة هذا العلم وقيّمته، كما يتبين منها أن الأخبار غير الأيام غير المشاهد، والتّواريخ، وربما يعني إمامه بهذه العلوم جميعها.

وفي قرُطبة أيضًا اعتنى بحفظ الأخبار أحد القضاة اللّخميّين؛ القاضي عبد السّلام بن عبد الله اللّخميّ (... - 371هـ = ... - 981م)، وهو من أهل قرُطبة، وكان حسن الخط ضابطًا<sup>(2)</sup>، ونعتقد أن حسن خطه وضبطه كانا من مستلزمات الحفظ، فليس حفظ العلم فيما يحفظ بالذاكرة فحسب وإنما يشمل أيضًا الحفظ بكتابته وتقييده.

وامتدت عنايتهم بالأخبار إلى عصر ملوك الطوائف بإشبيلية فنبغ في حفظ الأخبار متفننًا في ذلك أبي الأصبغ؛ عيسى بن محمد اللّخمي (333 - 426هـ = 944 - 1034م)، ذكر ابن بشكوال أنه: "كان حافظًا للأخبار، فاضلاً، متفننًا"<sup>(3)</sup>، وله تصنيف (عنوان الأخبار)<sup>(4)</sup>، بينما ذكر ابن بشكوال حفظه للأخبار دونما ذكر لكتابه هذا<sup>(5)</sup>.

وفي ذات العصر بإشبيلية كان ذا حظّ صالح من الأخبار أبي القاسم؛ عباس بن يحيى بن قرلمان اللّخمي (350 - 426هـ = 961 - 1034م)، ذكره ابن خزرج، ومن فضائله في ذلك أن أخذ عنه أبو عمر بن عبد البر (ت 463هـ)<sup>(6)</sup>، وهي منقبة جلييلة.

- 
- (1) ابن الفرضي (ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج 2 ص 69، الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام ج 8 ص 72، ترجمة رقم (134)، السيوطي (ت 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 1 ص 7، ترجمة رقم (2).
  - (2) ابن الفرضي (ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج 1 ص 331.
  - (3) ابن بشكوال (ت 578هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص 411.
  - (4) ذكره البغدادي، قاتلا: "كَانَ حَافِظًا لِلأخبار، فصنف: عنوان الأخبار". هدية العارفين، ج 1 ص 807.
  - (5) ابن بشكوال (ت 578هـ): المصدر السابق، ص 411.
  - (6) نفس المصدر، ص 420.

تطورت عناية العلماء اللَّخْمِيِّين بالعلوم الإنسانية فتجلت اهتماماتهم في عصر ملوك الطوائف بالتصنيف في التاريخ والأخبار، فصنف في "الأخبار" بقرطبة الأديب ابن زرقعة أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم اللَّخْمِي (368 - 435 هـ = 978 - 1043 م)، وذلك فيما ذكره ابن الفرضي في تاريخه، بقوله: له (تأليفان في الآداب والأخبار)، وقال ابن خزرج: "قرأتها عليه"<sup>(1)</sup>، كما ذكر ابن بشكوال أن: له تأليف في "الأخبار"، وقال ابن خزرج: قرأته عليه أيضًا<sup>(2)</sup>، ونقل ذلك البغدادي<sup>(3)</sup>. دونما ذكر لأسماء المؤلفان.

وتميز عصر المرابطين بعناية أشهر وأجل العلماء اللَّخْمِيِّين بالتأليف في "الأخبار"؛ فصنف فيها ابن اللبانة؛ مُحَمَّد بن عيسى بن مُحَمَّد اللَّخْمِي (... - 507 هـ = ... - 1113 م)، له (الإعتاد في أخبار بني عباد)<sup>(4)</sup>، وله أيضًا (مناقل الفتن)<sup>(5)</sup>.

وفي عصر المرابطين زاد على التقدم في الأخبار، المعرفة بأيام الناس بإشبيلية عند أبي جعفر؛ أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللَّخْمِي (... - 533 هـ = ... - 1138 م)، وهو من أهل إشبيلية، ذكر ابن بشكوال وغيره أنه: "كان من أهل التقدم في الأخبار ومعرفة أيام الناس، سمع الناس منه، وكان أبي علي الجبائي يثني عليه ويقدمه، وأخذ عنه ابن بشكوال وجالسه قديماً، وتوفي رحمه الله ليلة الجمعة، ودفن عشية يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الأول من سنة 533 هـ، ودفن بمقبرة "أم سلمة"

(1) نفس المصدر، ص 498.

(2) نفس المصدر، ص 498.

(3) هدية العارفين، ج 2 ص 69.

(4) لم يذكره ابن الأبار (ت 658 هـ) في معرض ترجمته. التكملة لكتاب الصلة، ج 1 ص 347، بينما ذكره حاجي خليفة خليفة (ت 1067 هـ): كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج 2 ص 1963، البغدادي (ت 1399 هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج 2 ص 83، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج 3 ص 89، كحالة (ت 1408 هـ): معجم المؤلفين، ج 11 ص 108.

(5) ابن الأبار (ت 658 هـ): المصدر السابق، ج 1 ص 347، الذهبي (ت 748 هـ): تاريخ الإسلام، ج 11 ص 102، الكتبي: فوات الوفيات، ج 4 ص 27، الصفدي (ت 764 هـ): الوافي بالوفيات، ج 4 ص 209، البغدادي (ت 1399 هـ): هدية العارفين، ج 2 ص 83، كحالة (ت 1408 هـ): معجم المؤلفين، ج 11 ص 108.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

بُقْرُطْبَةُ<sup>(1)</sup>، وقد نوهنا إلى موضع مدفنه هنا إشارة إلى وجوده بَقْرُطْبَةَ قبل وفاته رغم أنه -كما هو مذكور- من أهل إِشْبِيلِيَّة، فهذا يؤكد أن علمه نشر على الناس وسمعوا منه في كل من: إِشْبِيلِيَّة وُقْرُطْبَةَ.

واشتهر عصر الموحدين بنبوغ جماعة من المؤلفين اللَّخْمِيِّين الذين تجلت عنايتهم بالتاريخ والسير فلمعت المَرْيَّة بأجلهم هو الرشاطي؛ أبي محمد، عبد الله بن علي اللَّخْمِي (466-540هـ=1073-1145م)، له كتاب: (عُيُونُ الْأَخْبَارِ)، في التَّارِيخ<sup>(2)</sup>.

كما صنف في "سير الصالحين بالأندلس"؛ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ بن إِبرَاهِيم بن قَسُوم اللَّخْمِي (... - 639هـ = ... - 1241م)، له كتاب (مجالس الأبرار في معاملة الجبار)، يشتمل على أخبار صُلحاء إِشْبِيلِيَّة<sup>(3)</sup>.

ولما اهتم الأندلسيون -كالمشاركة- عامة بالتأليف في "السيرة النبوية"؛ نجد أنهم أكثروا من الكتابة حول المعجزات النبوية<sup>(4)</sup>، وجاء الاهتمام بشكل خاص عند أحد علماء قبيلة لَحْم في العناية بالمعجزات النبوية؛ فصنف فيها محمد بن أحمد بن عيسى اللَّخْمِي الإشبيلي (...-654هـ = ... - 1256م)، له كتاب (الدرر البهية في معجزات خير البرية)<sup>(5)</sup>؛ ولعله الوحيد من علماء قبيلة لَحْم

(1) القاضي عياض (ت544هـ): الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، ص 108، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص 82، وترجم له الضبي (ت599هـ)، ولم يشر إليه سوى كونه فقيه فاضل محدث. بغية المتتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 167، ترجمة رقم (363)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج 11 ص 587، ترجمة رقم (128)، وترجم له المقري (ت1041هـ)، دونما الإشارة إلى ذلك كله. أزهار الرياض، ج 3 ص 157.

(2) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 456.

(3) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج 14 ص 300، ترجمة رقم (611)، وأغفل ذكره عبد الملك المراكشي (ت703هـ) في معرض ترجمته. الذليل والتكملة، ج 6 ص 243، ترجمة رقم (705). وجاء ذكره عند ابن الأبار بعنوان "محاسن الأبرار في معاملة الجبار". ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 144.

(4) محمود علي مكِّي: السيرة النبوية في التراث الأندلسي، ص 108.

(5) مخطوط محفوظ بخزانة القرويين بفاس، المغرب، رقم الحفظ: رقم التسلسل: (295). مركز الملك فيصل: خزنة التراث - فهرس مخطوطات، ج 84 ص 468، (الرقم التسلسلي: 85695)، الفن: سيره.

الذي تجلت عنايته بالسيرة النبوية العطرة لما تعدده من غذاء للقلوب، وبهجة للنفوس، وسعادة ولذة وقرّة عين، بل إنها جزء من دين الله سبحانه وتعالى وعبادة يتقرب بها إلى الله؛ لأن حياة نبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - حياة بذل وعطاء وصبر ومصابرة وجد واجتهاد ودأب في تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى والدعوة إلى دينه عز وجل، وفي دراسة السيرة فوائد عظيمة جدًّا ومنافع متعددة ذكر ولو شيء منها يعد شحذًا للهمم، للصبر والمواصلة والعناية بدراسة سيرة نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. ولو نظرت في الدوافع التي حفزت المؤلفين الأندلسيين عموماً على الكتابة في السيرة لوجدنا ما قصد من التعبير عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

واستمر التأليف للعلماء اللّخميّين في التاريخ والآثار حتى صدر القرن الثامن الهجري، فيما يتجلى عن أبي بكر المعروف بابن الحكيم الأندلسي، محمد بن محمد اللّخمي (660 - 708 هـ = 1262 - 1309 م)، له كتبٌ طيبة في هذا الصدد منها: (الأخبار المذهبة)، وله (الآثار الصّوفيّة)<sup>(2)</sup>، وصنف (تكملة التّاريخ المُسمّى بميزان العَمَل لابن رَشِيْق)<sup>(3)</sup>، (الفوائِد المنتخبة والموارد المستعذبة)<sup>(4)</sup>، (النكت الأدبية)<sup>(5)</sup>.

## 2- التراجم والطبقات:-

يلاحظ دارس الحركة التاريخية عظم اهتمام الأندلسيين بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب واتساع نشاط هذا اللون من الدراسات التاريخية والحضاريّة، وما من شك أن هذا يعود إلى المستوى الرفيع الذي بلغه الأندلسيون في العلوم الإنسانيّة. وقد تجلّى ذلك عند علماء قبيلة لَحْم؛ فنصف علماء قبيلة لَحْم في سير علماء الأندلس كالذي قام به أبي مُحَمَّد، عبد الله بن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد

(1) محمد رضوان الداية (كلية الآداب - جامعة دمشق): السيرة النبوية في التراث الأندلسي، (مجلة التراث العربي، سوريا، العدد رقم 1، 1 يناير، 1979م)، ص 73.

(2) البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 2 ص 157.

(3) البغدادي (ت 1399هـ): المرجع السابق، ج 2 ص 157، إيضاح المكنون، ج 4 ص 612.

(4) البغدادي (ت 1399هـ): إيضاح المكنون، ج 4 ص 211.

(5) البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 2 ص 157.

بن خزرج اللَّحْمِيَّ (407هـ - 478هـ = 1016-1085م)، له كتاب (طَبَقَات النَّحْوِيِّينَ واللُّغَوِيِّينَ)؛  
منتقى من كتاب أبي سعيد السيرافي وأبي بكر الزبيديَّ جَمِيعًا<sup>(1)</sup>، وذكر الذهبي أن له كتاب  
"التاريخ"<sup>(2)</sup>، ويحتمل أنه قصد مصنفه المذكور.

كما يلفت نظر الدارس للتاريخ الأندلسي مدى اهتمام الأندلسيين عامة واللَّحْمِيِّينَ خاصة  
بتراجم أعلام وأعيان وطنهم أيضًا، وقد صنف في "الوفيات" أبي عَمْرٍو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَيْشُون بن  
عُمَر بن صَبَّاح اللَّحْمِيَّ الأندلسي البَكِّيَّ<sup>(3)</sup> (538 - 614هـ = 1143 - 1217م)، وله (تقييد في  
الوفيات)، قال ابن الأبار: "له تقييد مفيد في الوفيات"، اعتمدت عليه في كتابه "التكملة" وحدثه به  
عنه ابنة أبو عمر عيشون بن محمد<sup>(4)</sup>.

وفي "التراجم ورجال أهل الأندلس" صنف الحريري، عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن  
محمد بن خلف اللَّحْمِيَّ (591 - 646هـ = 1194 - 1248م)<sup>(5)</sup>، له كتاب (المنهج الرضي في الجمع  
الجمع بين كتابي ابن بشكوال وابن الفرضي)<sup>(6)</sup>، وهو في في تراجم أهل الأندلس<sup>(7)</sup>. وله في  
"الأنساب"، (حديقة الأنوار في تذييل اقتباس الأنوار والتماس الأزهار للرشاطي)، وهو في  
الأنساب<sup>(8)</sup>، جعله ذيلًا لاقتباس الأنوار للرشاطي<sup>(9)</sup>.

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 313.

(2) الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 489.

(3) نسبة إلى بَكَّة: من عمل مُرسية. الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 13 ص 422.

(4) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 111، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 13 ص  
422، ترجمة رقم (249).

(5) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 297، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 104،  
ترجمة رقم (233).

(6) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 2 ص 194.

(7) الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج 4 ص 114.

(8) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج 2 ص 194.

(9) الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج 4 ص 114.

### 3- الأنساب:-

علم الأنساب من العلوم الجليلة الشأن التي اهتم بحفظها علماء قبيلة لَحْم؛ بداية من عصر الخلافة الأموية بالأندلس؛ حيث كانت أولى عنايتهم بحفظها بقرطبة؛ فاعتنى بحفظها محمد بن أبان اللخمي القرطبي (... - 354هـ = ... - 965م)<sup>(1)</sup>.

كما لاقت دراسة "الأنساب" العناية والاهتمام لدى علماء قبيلة لَحْم بالأندلس؛ فصنف في "الأنساب" أحد علماء قرطبة اللخمين؛ عبد السلام بن عبد الله اللخمي (... - 371هـ = ... - 981م)؛ كان عالماً بالأنساب، ولهُ "جمع في النسب"<sup>(2)</sup>، وهذا الجمع ذكره ابن الفرضي، دونما أن نفق عليه، ومن صياغته ينبأ عن جمع عبد السلام المذكور لأنساب العرب بالأندلس وأصولها.

ولمعت مملكة المرية بنوغ أحد اللخمين في حفاظ التاريخ والأنساب خلال عصر ملوك الطوائف الرشاطي؛ أبو محمد، عبد الله بن علي اللخمي (466 - 540هـ = 1073 - 1145م)، وهو من أهل المرية، قال عنه ابن الزبير في "صلة الصلة": "النسابة .. حافظاً للتاريخ والأنساب، بارعاً، أحد المتقدمين المشار إليهم بالتقدم في الضبط والتقييد، روى عنه الجلة من الشيوخ.."<sup>(3)</sup>.

وقد صنف الرشاطي في "الأنساب"، كتاباً بعنوان: (اقتباس الأنوار والتباس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار)<sup>(4)</sup>، أخذه الناس عنه، وجاء في "في ستة أسفار"<sup>(1)</sup>، "وهو من الكتب

(1) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج2 ص 69، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام ج8 ص 72، 72، ترجمة رقم (134)، وترجم له السيوطي، دونما ذكر لحفظه للأنساب. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص 7، ترجمة رقم (2).

(2) ابن الفرضي (ت403هـ): تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص 331.

(3) ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 74-75، رقم (157).

(4) ابن ماكولا (ت475هـ): الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج1 ص 11، ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص 285، الضبي (ت599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 349، ابن الأبار (ت658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 218، ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان، ج3 ص 106، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 74-75، رقم (157)، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج17 ص 175، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج11 ص

القديمة في الأنساب، لخصه مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم البليسي (ت 802هـ)، وأضاف إليه زيادات ابن الأثير، على أنساب السمعاني، وسماه: القبس، أوله: الحمد لله الذي خلق صنف البشر ... الخ<sup>(2)</sup>. وأثنى على هذا الكتاب جماعة منهم ابن الأبار: " وَكِتَابِهِ الْمُتَرْجِمُ بِأَقْبَسِ الْأَنْوَارِ وَالْتِيَّاسِ الْأَزْهَارِ فِي أَسَاءِ الصَّحَابَةِ وَرَوَاةِ الْأَثَارِ؛ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ وَاسْتَعْمَلَهُ النَّاسُ "<sup>(3)</sup>. وهذا الكتاب تناوله غير واحد، وذكروا أنه "ما قصر فيه، وهو على أسلوب كتاب السمعاني"<sup>(4)</sup>. وقال ابن بشكوال: "كتاب حسن"<sup>(5)</sup>. "وهو كتاب غريب كثير الفوائد جامع"<sup>(6)</sup>.

كما تجلت عناية اللّخمين بكتب الأنساب بإشبيلية -عصر المرابطين- فحدث بكتاب (النَّسَب لأبي عبيد القاسم بن سلام) الشَّيْخُ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّخْمِيِّ (...-536هـ=...-1141م) عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّانِيِّ قِرَاءَةً مِنْهُ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سِرَاجٍ<sup>(7)</sup>.

وفي عصر الموحدين انتقلت اهتمامات العلماء اللّخمين بالتصنيف في هذا الفن نحو نسخ كتب "الأنساب" فيما عرف عن أبو عبد الله، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِشَامَ بْنِ إِبْرَاهِيمِ اللَّخْمِيِّ (... -

---

807، سير أعلام النبلاء، ج 15 ص 75، حاجي خليفة (ت 1067هـ): كشف الظنون، ج 1 ص 81،، البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 456.

(1) البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 456.

(2) حاجي خليفة (ت 1067هـ): كشف الظنون، ج 1 ص 81.

(3) ابن الأبار (ت 658هـ): معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص 218، ابن خلكان (ت 681هـ): وفيات الأعيان، ج 3 ص 106، الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام، ج 11 ص 807، سير أعلام النبلاء، ج 15 ص 75، المقرئ (ت 1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4 ص 462.

(4) ابن خلكان (ت 681هـ): وفيات الأعيان، ج 3 ص 106، الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام، ج 11 ص 807، سير أعلام النبلاء، ج 15 ص 75، الصفدي (ت 764هـ): الوافي بالوفيات، ج 17 ص 175.

(5) ابن بشكوال (ت 578هـ): المصدر السابق، ص 285.

(6) الضبي (ت 599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 349.

(7) ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ): فهرسته، ص 206.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

577هـ = ... - 1181 م)، بأنه نسخ كتاب (الإيناس في علم الأنساب - تأليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي "ت418/370هـ")، وخطه نسخي متقن يميل إلى القاعدة الأندلسية، مضبوط بالشكل الكامل الصحيح<sup>(1)</sup>.

#### 4- علم التعبير (الرؤى):-

وعرف في قبيلة لَحْم من كان متقدماً في علم التعبير هو ابن الوكاب؛ أبي محمد الملاح، موسى بن محمد اللخمي (371 - 430هـ = 981 - 1038م)، وهو من أهل إشبيلية<sup>(2)</sup>.

ولم يصنف في ذلك العلم سوى أبي بكر ابن الحكيم الأندلسي، محمد ابن محمد اللخمي (660 - 708هـ = 1262 - 1309 م)، له (بِسَارَةُ الْقُلُوبِ بِمَا تَجْبُرُ بِهِ الرُّؤْيَا مِنَ الْغُيُوبِ)<sup>(3)</sup>. ونلاحظ هنا أن التصنيف في هذا العلم جاء متأخراً، وهنالك فترة زمنية كبيرة بين المتقدم في هذا العلم وبين المؤلف فيه كما هو واضح. ويبدو أن هذا العلم بإضافة لغيره من العلوم لم تلق نفس العناية التي ظهرت من علماء قبيلة لَحْم تجاه العلوم الدينية.

وخلاصة القول فيما لاحظناه من خلال تتبع جهود علماء قبيلة لَحْم في العلوم الإنسانية؛ سعة النشاط التأليفي وامتداده إلى فروع مختلفة وجوانب متعددة تتعلق بتاريخ هذا القطر وشخصياته اللامعة، وإن كان هذا الدور لم يكن على نفس مستوى العلوم الأخرى وخاصة العلوم الدينية.

(1) عبد العزيز الساوري: ابن هشام اللخمي الأندلسي ناسخ كتاب الإيناس في علم الأنساب، (مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، العدد رقم 18، 1 أغسطس 1997م)، ص 90.  
(2) ابن بشكوال (ت578هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص 575.  
(3) البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج2 ص 157.

## ثانياً: العلوم التطبيقية (أو التجريبية):-

تجلت جهود العلماء اللَّخْميين في جانب العلوم التطبيقية (أو التجريبية) بالأندلس في ثلاثة جوانب، هي: علم الطب، وعلم الفلاحة (الزراعة)، وعلم الفلك، وتذكر المصادر لعلماء قبيلة لَحْم إسهامات جليلة وطيبة في هذه الحقول<sup>(1)</sup>؛ دراسة و تأليفاً، ولكن رغم جوهر هذه الجهود وعمق عنايتهم بها إلا أنها شملت عددًا قليلاً منهم.

### 1- علم الطب:-

أسدى اللَّخْميون للإنسانية في علم الطب جهود موفقة وإنجازات علمية طيبة وقيمة، وكانت البدايات الأولى لطلب علم الطب ونبوغهم فيه في عصر ملوك الطوائف الذي "ازدادت العناية فيه بدراسة الطب والصيدلة، وحقق فيه الأندلسيون آنذاك نتائج علمية رائعة بما ألفوه من روائع التأليف"<sup>(2)</sup> في الطب والصيدلة التي ضمنوها جهودهم وأعمالهم"<sup>(3)</sup>؛ فيما قدمه أبي المطرف، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللَّخمي (389 - 467هـ = 998م - 1074م)، كان "أحد أشراف أهل الأندلس، وأبرع أطباء هذه الفترة وأعظمهم تمكناً في الصيدلة، فكان الطبيب والصيدلي المشهور والوزير المعروف، وكانت نشأته نشأة علمية ناجحة، فقد اتجه منذ بداية حياته العلمية إلى دراسة علوم الأوائل وخاصة الطب والصيدلة"<sup>(4)</sup>.

(1) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 12، جدول رقم 9): يوضح العلماء اللخميون المشتغلين بالعلوم التطبيقية بالأندلس.

(2) انظر: (الملاحق): (ملحق رقم 14، كشف رقم 3): المؤلفات العلمية لعلماء قبيلة لَحْم بالأندلس، مؤلفات العلماء اللخميون في العلوم التطبيقية (الطب والنبات والفلك).

(3) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 553.

(4) القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 491.

كان ابن وافد اللخمي "من كبار العالمين بالطب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرك شأوه فيها أحد"<sup>(1)</sup>، وهو من أهل طُلَيْطَلَة، رحل إلى قُرْبَة فلقى بها أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي -الذي ينسب إليه وضع أسس الجراحة الطبية الحديثة كما يعتبره البعض أكبر أطباء الإسلام وأولهم في الجراحة الطبية<sup>(2)</sup>- فأخذ عنه (علم الطب) وكان مع تقدمه في ذلك فقيهاً عالمًا متفنتًا، له في دولة ابن ذي النون ذِكْرًا<sup>(3)</sup>.

وقد بلغ من اهتمام ابن وافد وحرصه على الدراسة العميقة الجادة لأنواع النباتات والأعشاب الطبية أن استأذن ملك طُلَيْطَلَة المأمون في إنشاء حديقة نباتية تشتمل على أنواع من النباتات وذلك لكي تسنى له دراستها عن كثب وليسهل عليه إجراء التجارب الصيدلية على أنواعها ومعرفة خصائصها ومعطياتها الطبية والعلاجية<sup>(4)</sup>.

ويذكر المقري أن ابن وافد كان آية الله تعالى في معرفة الطب والعلم بالأدوية وخصائص النباتات<sup>(5)</sup>، وبلغ من منزلة ابن وافد العلمية ونبوغته أن اعترف له علماء عصره بالأمانة في ذلك وصحة النظر وجودة القرينة ونفاضة الانتاج في ميداني الطب والصيدلة<sup>(6)</sup>.

(1) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251، ترجمة رقم (214).

(2) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 556.

(3) ابن جُلجل (ت377هـ): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيّد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، (1425هـ/1985م)، ص 22، 95، ابن صاعد (ت462هـ): طبقات الأمم، حققه وشرحه وذيله بالفهارس: المستشرق لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ط1، (1330هـ/1912م)، ص 94، ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص 13، القفطي = (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): طبقات الأطباء، ص 491، 496، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 124، رقم (284)، الزركلي (ت1396هـ): الأعلام، ج4 ص 102.

(4) حكمت الأوسي: كتاب الوساد لابن وافد الطليطي، (مقال بمجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد رقم 13، ص 175).

(5) المقري (ت1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص 377.

(6) القاضي عياض (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج4 ص 671.

وقد عرف ابن وافد لدى الأوربيين بابن ويفيث (Eben Cuefith) وكان لشهرته العلمية ومكانته الاجتماعية قد تولى الوزارة في دولة المأمون ملك طُلَيْطَلَة، ولم تكن شهرته وفقاً على معرفته الواسعة بالطب عامة بل كان بارعاً أيضاً في طب العيون أو ما يسمى بالكحالة عند العرب، وفي هذا الحقل صنف كتابه "تدقيق النظر في علل حاسة البَصَر" (1).

وكان لابن وافد طرائق ومناهج ابتدعها في العلاج الطبي وشفاء المرضى، فقد كان معتنياً بالعلاج عن طريق التغذية، كثير التركيز على هذا الجانب ويقدمه على جانب المعالجة الدوائية، فإن اضطر إلى العلاج بالأدوية قصد إلى المفرد منها دون المركب الذي يحوى في تركيبه عدة نباتات أو صفات مختلفة، فإن رأى أن لا مناص من التركيب عمد إلى اخفه وأيسره تركيباً (2).

ومن أهم مؤلفات ابن وافد في علم الطب: كتاب "الأدوية المفردة" (3)، وقد استعمله الناس (4)، وذكر صديقه المؤرخ صاعد بن أحمد الطليطلي: أخبرني عنه أنه "عانى جمعه وحاول ترتيبه وتَصْحِيح مَا ضَمَنَهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَدْوِيَةِ وَصِفَاتِهَا وَأَوْدَعَهُ إِيَّاهُ مِنْ تَفْصِيلِ قَوَاهَا وَتَحْدِيدِ دَرَجَاتِهَا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً حَتَّى كَمَلَ مُوَافِقًا لِعَرَضِهِ وَتَمَّ مُطَابَقًا لِبَغِيَّتِهِ" (5). وقد أثنى الذهبي علم ابن وافد

(1) ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 10 ص 251، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 517، فرات فائق خطاب: الكحالة عند العرب، وزارة الإعلام، بغداد، (1394هـ/1975م)، ص 29-30، آنخل بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 467.

(2) ابن صاعد (ت462هـ): طبقات الأمم، ص 110-111، القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 152، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): المصدر السابق، ص 496، باقر أمين الورد: معجم علماء العرب، ج 1 ص 73-74.

(3) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلوة، ج 3 ص 13، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلوة، ص 124، ترجمة رقم (284)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 10 ص 251.

(4) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج 3 ص 13، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 517.

(5) ابن صاعد: طبقات الأمم، ص 110-111، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 491.

بالطب، وجمعه لكتابه هذا، فيقول: "من كبار العالمين بالطب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرِك شأوه فيها أحدٌ. وألّف كتابًا حافلاً جمع فيه بين قول ديسقوريدس، وقول جالينوس، وكه يدُ طوَلَى في المُعَالِجَة"<sup>(1)</sup>.

ويذكر ابن أبي أصيبعة عناية ابن وفاد بكتب الأدوية المفردة التي جمع منها كتابه، قائلاً: "عنى عناية بِالْعَةِ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ جَالِينُوسِ وَتَفْهَمِهَا وَمَطَالَعَةِ كِتَابِ أَرْسَطُوطَالِيسِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ قَالَ الْقَاضِي صَاعِدٌ وَتَمَهَّرَ بِعِلْمِ الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ حَتَّى ضَبَطَ مِنْهَا مَا لَمْ يَضْبُطْ أَحَدٌ فِي عَصْرِهِ وَأَلْفَ فِيهَا كِتَابًا جَلِيلًا لَا نَظِيرَ لَهُ جَمَعَ فِيهِ مَا تَضَمَّنَ كِتَابَ دَيْسَقُورِيدَسٍ وَكِتَابَ جَالِينُوسِ الْمُؤَلِّفَانِ فِي الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ وَرَتَبَهُ أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ - وَقَالَ - وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَانَى جَمْعَهُ وَحَاوَلَ تَرْتِيبَهُ وَتَضْحِيحَهُ مَا ضَمَّنَهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَدْوِيَةِ وَصَفَاتِهَا وَأَوْدَعَهُ إِيَّاهُ مِنْ تَفْصِيلِ قَوَاهَا وَتَحْدِيدِ دَرَجَاتِهَا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً حَتَّى كَمَلَ مُوَافِقًا لِعَرْضِهِ وَتَمَّ مَطَابِقًا لِبَغِيَّتِهِ"<sup>(2)</sup>.

ويشير القفطي وابن أبي أصيبعة إلى مدى تفوق ابن وفاد في العلم بالأدوية، فيقول: "وتمهر بعلم الأدوية المفردة حَتَّى فَهَمَ مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابَ دَيْسَقُورِيدَسٍ وَكِتَابَ جَالِينُوسِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ وَرَتَبَهُ أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ خَمْسِمِائَةِ رَقَّةٍ وَكُهُ فِي الطَّبِّ مَنْزَعٌ لَطِيفٌ وَمَذْهَبٌ ظَرِيفٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَرَى التَّدَاوِيَّ بِالْأَدْوِيَةِ مَا أَمَكْنَ التَّدَاوِيَّ بِالْأَعْذِيَةِ أَوْ مَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فِإِذَا دَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى الْأَدْوِيَةِ فَلَا يَرَى التَّدَاوِيَّ بِمَرْكَبِهَا مَا وَصَلَ إِلَى الشِّفَاءِ بِمَفْرَدِهَا فَإِنْ اضْطَرَّ إِلَى الْمَرْكَبِ مِنْهَا لَمْ يَكْثُرِ التَّرْكِيبُ بَلْ اِقْتَصَرَ عَلَى مَا يَمَكُنُهُ مِنْهُ وَكُهُ نَوَادِرَ مَحْفُوظَةً وَغَرَائِبَ مَشْهُورَةً فِي الْإِبْرَاءِ مِنَ الْعِلْلِ الصَّعْبَةِ بِأَيْسَرِ عِلَاجٍ وَأَقْرَبِهِ"<sup>(3)</sup>.

(1) الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج10 ص 251.

(2) ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496.

(3) القفطي (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 174، ابن أبي أصيبعة (ت668هـ): المصدر السابق، ص

ويكفي الدارس لمعرفة أهمية ما تضمنه ذلك الكتاب من علوم ومعارف طبية وصيدلية تلك المدة الزمنية التي قضاها ابن وافد في تأليف كتابه وهي عشرين سنة، وما من شك أن كتابه تضمن الكثير من تجاربه والعديد من خبراته ومشاهداته في ميدان العلاج الطبي وأنواع الأدوية المفردة. جدير بالذكر أن كتاب ابن وافد في الأدوية المفردة لقي قبولا عظيمًا من الأطباء آنذاك ومن أتى بعدهم أيضًا، وقد اعتمد عليه الأوروبيون في معرفة الكثير من علوم الصيدلة وأنواع الأدوية فترجم إلى اللاتينية والعبرية والقطلانية<sup>(1)</sup>.

ومن مؤلفاته في الطب أيضًا: (أرجوزة في الطب)<sup>(2)</sup>، و(كتاب المجربات)، في الطَّب<sup>(3)</sup>، (كتاب المغيث)<sup>(4)</sup>، (كتاب الوساد)<sup>(5)</sup>، ومما ينسب إليه من الكتب غير ما ذكر، كتاب: "المجموع في الفلاحة"<sup>(6)</sup>.

وفيا يتصل بكتابه (الوساد)، وقد اطلع أحد الباحثين<sup>(7)</sup> وأعطى تفصيلات مهمة على مخطوط هذا الكتاب ومحتواه<sup>(1)</sup>، فيقول: وهو يبدأ بعرض الأدهان والأشربة المفيدة في تجميل وعلاج

- 
- (1) حكمت الأوسبي: الوساد لابن وافد، ص 176، علي الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ص 179، 180. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 561.
  - (2) مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم (156). مركز الملك فيصل: خزانة التراث، فهرس المخطوطات، ج 92 ص 608، رقم المسلسل (93889)، ج 3 ص 595.
  - (3) لم يرد ذكر له عند ابن الأبار (ت 658هـ) في معرض ترجمته. التكملة لكتاب الصلة، ج 3 ص 13، وذكره ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496، الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام، ج 10 ص 251، هدية العارفين، ج 1 ص 517.
  - (4) ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496، البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 517.
  - (5) ابن الأبار (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 3 ص 13، الذهبي (ت 748هـ): المصدر السابق، ج 10 ص 251، البغدادي (ت 1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 517.
  - (6) حكمت الأوسبي: الوساد لابن وافد، ص 176.
  - (7) سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 561، وما بعدها.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

وعلاج الأسنان، ويسف عند حديثه عن الشعر دواء لتسويده وغيره لتقويته وعلاج ما يتساقط منه<sup>(2)</sup>، ثم يتعرض للدماغ والأدوية المقوية له والشافية لأوجاعه<sup>(3)</sup>.

ومما يلاحظ في عرضه للأدوية أنه لا يكتفي بوصفه واحدة لوجع ما في أكثر الأحيان بل إن تمكنه في صناعة الطب ومعرفته الواسعة بالأدوية وخصائصها العلاجية دفعه إلى عرض أكثر من علاج ووصفة طبية لحالة من الحلالات المرضية. وقد يكون لهذه الطريقة مغزى اجتماعي وهو أن أوضاع الناس الاجتماعية والاقتصادية في عهده تمنع الكثير من شراء بعض الوصفات الطبية الغالية، فكان الاقبال على تلك الوصفات الطبية السهلة التركيب الرخيصة الثمن التي تسمح لذوي العوز والفاقة من الحصول عليها بأقل كلفة وأيسر ثمن.

وابن وفاد يصف أدوية وعلاجات موسمية يصلح البعض منها في الصيف في حين أن البعض الآخر، لا يفيد إلا شتاءً مثل قوله: "بخور نافع بإذن الله يستعمل في الصيف"، وكقوله في موضع آخر: "دواء لتقوية عصب الدماغ وشرط استعماله في الشتاء"<sup>(4)</sup>.

ويتطرق ابن وفاد في كتابه الوساد إلى العين وما يعترها من الضعف وما يلحقها من الأوصاب والأوجاع. ويصف لكل حالة مرضية دواء أو كحلا، وجدير بالكر أن كتاباته الطبية والعلاجية من العين تنم عن مهارته في هذا الفرع الطبي، وهو "طب العيون" أو ما يعرف عند العرب بـ "الكحالة"، ومما يلاحظ عند وصفه لعلاج أمراض العين كثرة اعتماده على ماء الورد كوصفة طبية،

(1) مخطوط هذا الكتاب بمكتبة الاسكوريال تحت رقم (833)، في مجموع يضم المخطوط المذكور ضمن مخطوطات أخرى. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 561، وما بعدها.

(2) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 2 ب. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 561.

(3) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 4 ب. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 562.

(4) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 7 أ. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 562.

فهو يقول مثلاً: "وصفة لمن يجد وجعاً في عينيه وصدغيه، يقصد الشريانات ثم يكمد موضع الوجع بشيء من ماء الورد"، وفي موضع آخر: "ثم يقطر في العين ماء ورد بارد إن شاء الله"<sup>(1)</sup>.

ويستمر ابن وافد في عرض أوجاع العين وآلامها مع وصفه لضرور الأدوية والعلاجات والضهادات النافعة في أسلوب علمي رصين يعتمد على ألوان مختلفة من النباتات والأعشاب والأزهار مع مراعاة التناسب الكمي في تركيبها، وكثيراً ما يحتتم حديثه عن وصفة ما بقوله: "نافع إن شاء الله تعالى، أو بإذن الله تعالى".

ويأخذ ابن وافد في عرض طرائق العلاج لكل من علل وأوجاع الأذن والفم واللثة والأسنان والحلق عامة ثم القلب، ثم يعرض لبعض الأمراض النفسية والعصبية كالوحشة والاكئاب والههم والفرع والقلق<sup>(2)</sup>.

وابن وافد في كتابه يتطرق إلى معالجة أمراض وأوجاع المعدة والكبد والطحال والاحشاء والأجهزة الباطنية بشكل عام، ثم يصف بعد ذلك طرق معالجة الكلى والمثانة وكيفية علاج سلس البول وتفتيت الحصاة، ويقول عن ذلك: "صفة دواء للحصاة، تأخذ من زهر الزيتون مثال، ومن زهر الشبث، مثل ذلك ويعجن بالسمن ويشرب إن شاء الله تعالى". ثم ينتقل بعده إلى علاج ما يعتبر المقعدة من أوجاع كالبواسير فيصف لها ضرور العلاج حسب كل حالة مرضية.

ثم يلي ذلك حديثه عن الأمراض التناسلية لدى الرجل والمرأة، ويتكلم عن الأمراض الجلدية في صورة تنم عن براعته وسعة أفقه في الجمع بين الحديث عن الأمراض التناسلية والجلدية كأساس لاقترب هذين الفرعين من الطب في تخصص واحد كما هو حاصل في عصرنا الحاضر،

(1) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 15 أ. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 562.

(2) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 35 أ. سعد عبد الله البشري: المرجع السابق، ص 563.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

ويختتم ابن وافد كتابه بالحديث عن كيفية عمل الأشربة والمربيات من السفرجل والتفاح والجوز، وأنواع اللبوب والبزور<sup>(1)</sup>.

وعلى أية حال فإن ما أشرنا إليه من ذلك الكتاب القيم ما يدل على مكانة ابن وافد الطبية وسعة علمه في الصيدلة والدراية بالأدوية وخصائصها، وبناء عليه فإن ابن وافد يعتبر بحق ألمع اسم ظهر في علوم الطب والصيدلة في (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). وهو أمر أكده كثير من العلماء والأطباء سواء في عصره أو ما تلاه أو في عصرنا الحاضر، ولعل ما حداهم إلى ذلك ما خلفه من انتاج طبي وصيدلي قيم لا يزال بعضه شاهداً على ما قيل من ثناء واطراء كبيرين.

ومن أشهر تلاميذ ابن وفاد علي بن عبد الرحمن الخزرجي الطليطي (ت 499هـ/ 1105م)، وقد استقر به المقام بعد خروجه من طُلَيْطَلَة في مدينة قُرْطُبَة، وكان ماهراً في الطب وأساليب المعالجة، وله تجارب وخبرات نافعة اكتسبها عن استاذة ابن وافد ذاع بها صيته في الطب<sup>(2)</sup>.

وهنالک من ألف عن أدوية ابن وافد، من أولئك ابن باجة، فله كتاب (التجربتين على أدوية ابن وافد اللَّخْمِي)<sup>(3)</sup>، وبعد هذا فلا عجب أن يوصف ابن وافد بأنه مؤسس علم الصيدلة الحديث<sup>(4)</sup>، وأنه من كبار العالمين بالطب، لا سيما بالأدوية المفردة، فإنه لم يُدرِك شأوه فيها أحد<sup>(5)</sup>.

وكان هنالك من العلماء اللَّخْمِيِّين الذين لهم في علم الطب حظ ونصيب غير ابن وافد، تلوه بمشاركتهم في علم الطب؛ فحصل الأول على جملة من علم الطب بِإِشْبِيلِيَّة -عصر المرابطين- وهو سليل بني عباد اللَّخْمِيِّين بِإِشْبِيلِيَّة، أبو محمد؛ عبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد بن محمد بن

(1) ابن وافد: الوساد، (مخطوط)، ورقة: 81 أ. سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 563.

(2) المراكشي: الذيل والتكملة، ج 1 ص 250-252.

(3) فائزة عبد الله الحساني: تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها، ص 243.

(4) باقر أمين الورد: معجم علماء العرب، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، (1406هـ/ 1986م)، ج 1 ص 73.

(5) الذهبي (ت 748هـ): تاريخ الإسلام، ج 10 ص 251، ترجمة رقم (214).

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

إسماعيل بن عباد اللَّخمي (... - بعد 520هـ = ... - 1126م)، أخذها عن أبي الحسن شهاب بن محمد المعيطي - الطبيب، من أهل إِشْبِيلِيَّة يكنى أبا الحسن كان عالماً بالطب والتعاليم مقدماً في صناعتها معروفاً بذلك أخذ عنه أبو محمد عبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد عند انقراض دولة أبيه<sup>(1)</sup>.

وكان أبو محمد الذكور خيراً وقوراً معلوم العدالة والنزاهة<sup>(2)</sup>، كان يلقب أيام رياستهم بعز الدولة<sup>(3)</sup>.

أما الثاني فجمع مع علمه باللغة والنحو: علم الطب، وكانت له مشاركته في هذا العلم بِشَلْب، هو أبو محمد؛ عبد الله بن سيد أمير اللَّخمي، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: كَانَ ذَا حَظٍّ صَالِحٍ مِنَ الطَّبِّ، فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ رَوَى عَنِ ابْنِ الرَّمَاكِ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَرَوَى عَنْهُ يَعِيشُ بْنُ الْقَدِيمِ، وَذَكَرَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ فَقَالَ: كَانَ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا، لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الطَّبِّ<sup>(4)</sup>.

وثالث هؤلاء العلماء كان في "شقورة" حيث صنف في علم الطب محمد بن علي بن عبد الله، الشقوري اللَّخمي (... - بعد 749هـ = ... - 1348م)، له (مقاله في الطب من رأس الإنسان إلى قدميه)<sup>(5)</sup>.

(1) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص138، ترجمة رقم (397).

(2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص106، ج4 ص138، في ترجمة "المعيطي الطبيب"، عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الإعلام، ج5 ص97، ترجمة رقم (178).

(3) عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الإعلام، ج5 ص97، ترجمة رقم (178).

(4) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص277، السيوطي (ت911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2 ص45، ترجمة رقم (1390).

(5) تتوفر منه عدة نسخ مخطوطة: نسخة بالخزانة الملكية (الحسنية)، بالمغرب، الرباط، رقم الحفظ: (6323)، مجموع (267ك)، مجموع (1044)، ونسخة بالرباط بالمغرب (1035د). نسخة بالخزانة العلمية الصبيحية، بالمغرب، بمدينة سلا، رقم الحفظ: (4/135)، ونسخة بمعهد المخطوطات العربي، مصر، القاهرة، رقم الحفظ: (769). خزانة التراث، فهرس المخطوطات، ج81 ص106، رقم المسلسل (82262).

إلا أن هؤلاء الثلاثة لم يحققوا ما حققه ابن وفد في هذا العلم؛ حيث سبقهم باطلاعه وتجلي منه فوائده العديدة كما أشير سابقاً، ولا نعرف عما سبقت الإشارة إليهم سوى نيلهم حظاً أو نصيباً من هذا العلم دونما ذكر لنبوغ أو تفوق فيه يبرز ما قدموه، ولا نجد ذلك سوى عند ابن وفد اللخمي؛ أعظمهم خاصة وأعظم أطباء الأندلس عامة.

أما "علم البيطرة" وهو علم طب الحيوان، فلا نجد من العلماء اللخمين ليعتني به ويُعطيه من العناية سوى ابن المرخي؛ أبو بكر، محمد بن علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل بن عبد العزيز بن هارون اللخمي (... - 615هـ = ... - 1218م)، وهو من أهل إشبيلية، له (كتاب في الخيل)، في علم الحيوان والبيطرة، وبيته عريق في النباهة والكتابة<sup>(1)</sup>. ومن قوله في قصيدة يخاطب بها أستاذه أبا العباس ابن سيد المعروف باللص:-

سأهجرُ العلم لا بُغضاً ولا كَسلاً \* \* \* حتى يقال ارعوى عن حُبِّه وسلا  
ولا أمرٌ بيتٍ فيه مسكُنه \* \* \* كي لا يمثّل شوقي حيثما مثلاً  
إذا ظمئتُ وكان العذب ممتنعاً \* \* \* فلستُ عن غير ذاك العذب معتزلاً<sup>(2)</sup>

## 2- علم الفلاحة:-

عرف ابن خلدون (ت808هـ) هذا العلم بأنه: "النظر في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقى والعلاج وتعده بمثل ذلك"<sup>(3)</sup>.

وقد تبوأ الأندلسيون المقدمة والصدارة بين علماء الزراعة في العالم الإسلامي كله، وهذا عائد أولاً إلى طبيعة شبه الجزيرة الأندلسية، وكثرة أنهارها وبقاعها الخصبة وتنوع أقاليمها وترتبتها.

- 
- (1) ابن الأبار (ت658هـ): المصدر السابق، ج2 ص 112، تحفة القادم، ص 174، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج13 ص 449، الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج4 ص 114.  
(2) ابن الأبار (ت658هـ): تحفة القادم، ص 174.  
(3) ابن خلدون (ت808هـ): تاريخه، ج ص 652.

قييلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

وثانيًا إلى نبوغ أهل الأندلس في علم الزراعة وفنونها ومهاراتهم الواسعة في فلاحه الأرض وغرسها والعناية بها حتى تينع ثمارها على أطيب صورة<sup>(1)</sup>.

وكان للعلماء اللَّخْمِيِّين دور عظيم في جعل الأندلس بهذه الصدارة فيما تجل من عناية العلماء اللَّخْمِيِّين بعلم الفلاحة والنبات والمشاركة فيه، وذلك فيما ذُكر عن ابن وافد أَبُو الْمُطَرَف الْحَكِيم المالكي الأندلسي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن يحيى ابن وافد بن مهند اللَّخْمِي الْوَزِير (389 – 467 هـ = 998 م – 1074 م)، له كتابًا سماه (الفلاحة)، وهو مجموع مفيد، ذكره ابن الأبار، قائلا: "له في (الفلاحة) مجموع مُفيد وكان عارفًا بوجوهها، وهو الذي تولى غرس جنة المأمون ابن ذي النون الشهيرة بَطْلَيْطَلَّة"<sup>(2)</sup>.

ولعل قول ابن الأبار حول هذا المجموع بأنه "مفيد" يعني وقوفه عليه، وإطلاعه على محتواه بما أهله للتقرير بقيمته وفوائده التي جمعها ابن وافد عن علم الفلاحة، كما يشير إلى علمه بمعرفة وجوهها أيضًا، وكان لهذه المعرفة دورها وأثرها في تولي ابن وافد زراعة حدائق المأمون بَطْلَيْطَلَّة، والتي لا شك أن ذبوع شهرتها جاءت على يد ما قدمه ابن وافد من براعة التصميم والشكل والتنوع فيما قام على غرسه من نباتات.

كما اعتنى بهذا العلم برواية كتبه؛ الْوَزِير الْكَاتِب أَبُو بكر؛ مُحَمَّد بن عبد الملك بن عبد الْعَزِيز اللَّخْمِي (...=536هـ...=1141م)، فيذكر عنه أنه حدث بكتاب (النَّبَات لِأبي عبيد الْبُكْرِيّ

- 
- (1) علي الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ص 31، سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص 631.
- (2) ابن الأبار (ت658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج 3 ص 13، ابن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، ص 124، ترجمة رقم (284)، الذهبي (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ج 10 ص 251، البغدادي (ت1399هـ): هدية العارفين، ج 1 ص 517.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

"ت487هـ/1094م"<sup>(1)</sup>. وهذا كلام ابن خير الإشبيلي في "فهرسته"، وفي ثبت مؤلفات البكري كتابًا في هذا الموضوع تحت عنوان "أعيان النبات والشجرات الأندلسية"<sup>(2)</sup>.

الجدير بالذكر أنه طيلة عدة قرون ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يكاد يكون كل كتاب قيم في علم الزراعة صادر عن علماء الأندلس، كما أن النشاط الزراعي في ذلك القطر أتى بإنجازات حضاريّة رائعة قل أن توجد في غيره من الأقطار<sup>(3)</sup>.

### 3- علم الفلك:-

لم يكن لعلماء قبيلة لَحْم كثير عناية بعلم الفلك مثله مثل علم الفلاحة وإذا كان هذا العلم قد جاء فيه التأليف والعناية بكتبه، فإن للَحْميين اهتمام وعناية بعلم الفلك على نفس القياس أيضًا تجلت عند أبو عبد الله البستي؛ مُحَمَّد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللَّحْمِي الأندلسي (... - 577هـ = ... - 1181 م)، وله (شرح منظومه في المنازل والبروج)<sup>(4)</sup>، وله أيضًا (شرح العينيه: شرح قصيده أبي علي بن الهيثم البغدادي) في الفلك، وعلم النجوم<sup>(5)</sup>. وهكذا جاء دور علماء قبيلة لَحْم محدودًا في "علم الفلك" بالشرح لهذا العلم وتبينه، فضلًا عن أن البارز فيه عالمًا واحدًا لا نجد غيره من العلماء يضارعه في قبيلة لَحْم.

(1) ابن خير الإشبيلي (ت575هـ): فهرسته، ص 336.

(2) الصفدي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، ج17 ص 156، الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، ج19 ص 35 - 36، الزركلي: الأعلام، ج4 ص 98.

(3) سيد حسن نصر: العلوم في الإسلام، ترجمة مختار الجوهري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (1398هـ/1978م)، ص 193.

(4) مخطوط محفوظه بالخزانة الملكية (الحسنية) بالرباط-المغرب، (مجموع 7432). مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج81 ص 920.

(5) مخطوط محفوظه بمعهد المخطوطات العربيه، بالقاهرة-مصر، رقم الحفظ: (135)، وهنالك نسخة بدار الكتب المصريه، تحت رقم (1051-مقات). مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج84 ص 435.

وورد هذا المخطوط أيضًا بعنوان: (شرح قصيده ابن الهيثم في النجوم). مركز الملك فيصل: خزانة التراث - فهرس مخطوطات، ج86 ص 791.

وهناك إشارة واضحة عن اهتمام الملك المعتمد بن عباد اللّخمي بهذا العلم، الذي توثقت صلته بألمع فلكيبي الأندلس؛ العلامة الشهير أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش الطليطي المعروف بابن الزرقال، وكان له منزلة عظيمة لما قدمه من جهود موفقة في الفلك فأهدى عددًا من مؤلفاته إلى المعتمد بن عباد اللّخمي، ومنها كتابه "العمل بالصفحة الزيجية"، وفي مقدمته يقول: " .. وإني أيد الله المعتمد على الله المؤيد بفضل الله، لما رأيت الناس يتوسلون بأنواع من التوصل ويتوصلون إلى خدمته بضروب من التوصل .. لم أرى اتحاف حضرته الجليلة إلا بما يطابق مذهبه الشريف .. فصنعت له آلة شريفة يتوصل بها إلى تقويم الكواكب السبعة ويعلم بها ما يعرض لها من الاستقامة والرجوع .." (1).

وهذا الجانب أوردناه مكملًا للصورة العلمية عن دور قبيلة لَحْم؛ فإذا لم يبرز من علماء القبيلة كثير من يعتني بهذا العلم، فعلى الجانب الآخر شملت عناية بني عباد اللّخمين رعاية العلماء غير اللّخمين بالأندلس، الذين كانوا في سلطانهم بإشبيلية، وكان منهم العالم أبو مسلم عمرو بن أحمد بن خلدون الحضرمي (ت 449هـ/1057م)، وكان من أعيان مدينة إشبيلية، وذاع صيته في الفلسفة والبراعة في الرياضيات والفلك (2).

ويمكن أن يتساءل المرء عن تأخر العلماء اللّخمين في الاشتغال بهذه العلوم فضلًا عن ندرتهم، وهذا التساؤل إجابته ترتبط عمومًا بأن الأندلسيين كانوا أول عهدهم أكثر التصاقًا بعلوم

---

(1) ابن زرقال: العمل بالصفحة الزيجية، (مخطوط) يعود تاريخه إلى (639هـ)، المتحف البريطاني، محفوظ تحت رقم (426)، وهو مكون من عدة صفحات، ترقيمها من (103 إلى 107 و)، رقم الاستدعاء: Add MS 7473, ff. (103r-107v). وقد قام على تحقيقه مياس ياكروزا، وترجمه إلى الإسبانية ونشره في كتابه "دراسات حول الزرقالى- باللغة الإسبانية"، مدريد، عَرْنَاطَة، (1943-1950م)، ص 75، وما بعدها، سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص 589 - 590.

(2) ابن صاعد (ت 462هـ): طبقات الأمم، ص 95، ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ): عيون الأنباء، ص 485، المقري (ت 1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3 ص 376.

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

الدين واللغة، وهو الدور الأوضح والأجزل عطاءً في مسيرة علماء قبيلة لَحْم في الحياة العلمية بالأندلس.

ولكن على كل حال جاءت عناية العلماء اللَّحْمِيِّين بالعلوم التطبيقية (أو التجريبية) ضئيلة للغاية، وإن ظهرت عنايتهم الجليلة بعلم الطب بشكل أكثر عمقاً من خلال أحد علمائها الأجلاء هو ابن وافد اللَّحْمِي، ثم جاءت حقول هذا العلم الأخرى كعلم الفلاحة وعلم الفلك أقل عناية من غيرها. والفقرات التي وضعت عن هذه العلوم التي يتبين فيها دورهم جاءت قليلة لقلة العلماء المشتغلين بهذه العلوم.

## الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع نحاول أن نتلمس آثار هذه الدراسة وما تمخضت عنه من نتائج علمية؛ هي الغاية والمطلب من وراء هذا الجهد البسيط.

والحق أن موضوعاً كموضوع (دور قبيلة لَحْم في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري)؛ يكشف لنا عن حقيقة هامة وهي قدرة هذه الأمة على العطاء والبذل بسخاء في ميادين الحضارة الإنسانية المختلفة حتى في أحلك الظروف وأشقّ المواقع وأصعب الأحوال ونقصد بذلك عصر - ملوك الطوائف الذي اضطربت فيه الأحوال السياسية والعسكرية، ورغم ذلك أتسم علماء هذه القبيلة بإنهم كانوا سابقين في ميدان الحضارة والمعترك العلمي؛ فنهضت على أيديهم كثير من العلوم والآداب كما كان لبني عباد في إشبيلية وقرطبة اهتماماتهم الأدبية والشعرية، وكانوا مولعين بهذا اللون من المعرفة فأضحت مملكتهم قطب النشاط الأدبي وأصبح بلاطهم ملجأ الأديباء والشعراء وعلى منوالهم صار الكثيرون، هذا بالإضافة إلى الجُم الغفير من العلماء اللخمين الذين ذاع صيتهم هنا وهناك.

وإذا ما جئنا إلى ذكر ما أنجزه علماء قبيلة لَحْم بالأندلس من إنجازات علمية، وقفنا على حقيقة هامة وعظيمة، وهي أن الأندلسيين أثبتوا من خلال نشاطهم العلمي قدرات علمية واسعة في طرق أبواب المعرفة المختلفة وأن الشخصية العلمية الأندلسية أثبتت ذاتها وقدرتها على بناء كيانها العلمي واعطائه الطابع الأندلسي المميز.. فعلماء قبيلة لَحْم لا تزال كثير من آثارهم العلمية بين أيدينا تمثل أعظم شاهد وأوضح برهان على مكانة أولئك العلماء وقدرتهم العلمية العظيمة.

لقد كان الدور العلمي لقبيلة لَحْم صفحة مشرقة في تاريخ التراث العربي بالأندلس في الفترة المذكورة؛ تلك الفترة التي ذخرت فيها الأندلس بتطورات علمية هامة، يأتي في مقدمتها العلوم

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

الدينية ويبرز فيها حدث تغير المذهب الفقهي لأهل الأندلس عن مذهب الإمام الأوزاعي إلى مذهب الإمام مالك من خلال مشاركة علماء المالكية اللّخميّين بشكل خاص، بداية من دور الفقيه المالكي زياد بن عبد الرحمن، المعروف بزياد شبطون (ت204هـ/819م)، والتي تحفل كتب التراجم والطبقات بالتأريخ لحدث إدخاله موطأ الإمام مالك إلى الأندلس "مُكملاً مُتقناً"، كما تزخر بالتأريخ لدور من جاء بعده من الفقهاء اللّخميّين في العناية بالمذهب المالكي.

أما على صعيد العلوم اللسانية؛ فقد ظهر من قبيلة لَحْم أجل أهل اللغة والنحاة بالأندلس هو أحمد ابن هشام اللّخميّ (ت577هـ/1181م)، الذي أثار مكتبة التراث العربي بالمؤلفات اللغوية الرائعة، وغيره من علماء اللغة والنحو اللّخميّين. كما شهدت الحياة الأدبية تطوراً كبيراً على أيدي أهل الأدب اللّخميّين، وفي مقدمتهم بني عباد بإشبيّلة (414-484هـ = 1023-1091م) بإنشائهم ديواناً للشعراء. كما اشتهرت قبيلة لَحْم بجملة الأدباء وفحول الشعراء من أمثال: ابن اللبانة اللّخميّ الإشبيلي (ت507هـ/1113م)، والشاعر الأندلسي العريق ابن الزقاق اللّخميّ البلنسي (ت528هـ/1134م). وفي العلوم التطبيقية أنجبت الأندلس عالم الطب والصيدلة الشهير ابن وافد اللّخميّ الطليطي (ت467هـ/1074م)، الذي كان أحد أشرف أهل الأندلس، وأبرع أطبائها وأعظمهم تمكناً في الصيدلة، فكان الطبيب والصيدلي المشهور والوزير المعروف. وهذا غيض من فيض.

ويمكن أن نبين أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها الدراسة من الناحيتين الاجتماعية والعلمية باعتبارهما الأساس الذي قامت عليه دراسته في ضوء النقاط التالية:-

• من الناحية الاجتماعية:-

**أولاً:-** تجلت تلك المكانة السامقة والمقام الرفيع لقبيلة لَحْم بالأندلس منذ الفتح الإسلامي لها ودخولهم واستقرارهم بالمواضع المختلفة منها. كما تجل انتشار علمائها في مواضع كثيرة منها بلغت نحو الثلاثة والثلاثين موضعاً، وجاء في مقدمة هذه المواضع "إشِبِيلِيَّة" و"قُرْطُبَة"؛ اللتان اعتبرناهما بيوتات اللخمين الأولى بالأندلس، حيث استقر فيهما العدد الأكبر من أبناء هذه القبيلة. ومن ناحية أخرى تبين انتشار أبناء هذه القبيلة بالأندلس في ضوء رحلاتهم العلمية داخلها؛ فكان منهم من استقر بالموضع الذي رحل إليه فاتخذ موطناً له؛ وقد عبر ذلك من جانب آخر على تجوالهم بكافة مناحي مدن الأندلس، وجاء ذلك لاتخاذ الموضع الذي رحل إليه موطناً وسكناً من ناحية، ولطلب العلم أو إكسابه لطلبته في الوقت ذاته من ناحية أخرى.

**ثانياً:-** جاءت البيوتات العلمية في قبيلة لَحْم صفحة مشرقة في تاريخ الأسر العلمية بالأندلس، وتبين من خلال ترتيبها وتهذيبها بتحديد مواضعها وبيوتات كل موضع؛ أنها أسهمت في تكوين الصورة العلمية للأندلس في تلك الفترة، واتضح كذلك إسهام الآباء نحو الأبناء في بناء هذا الصرح العلمي الكبير لقبيلة لَحْم؛ والذي أسهم بدوره الجليل في الحياة العلمية ونشاط حركتها، فضلاً عن إعطاء صورة رائعة عن الصلات العلمية بين أبناء الأسرة العلمية.

**ثالثاً:-** تبينت طبيعة المجتمع العلمي بالأندلس وحبهم للعلم وتقديرهم للعلماء في ضوء بيوتات قبيلة لَحْم، وقد شاهدنا كيف كان ذلك التواصل بين هذه البيوتات العلمية في الأخذ عن الجد والأب والعم وأبناء العم. كما كانت أعظم البيوتات العلمية في قبيلة لَحْم تلك التي تكونت بإشبيلية وقرطبة، واتضح من خلالها الصورة العلمية بشكل جليل وطيب في ضوء جهود أبنائهم، وعلى الرغم من تلك المفارقات العلمية التي ظهرت من بيت لآخر من حيث عدد العلماء بكل بيت ونباهة علمائه؛ إلا أنهم جميعاً كانوا نقاط مضيئة في تاريخ الحياة العلمية بالأندلس منذ طلب العلم حتى

قبيلة الحُتم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

النبوغ فيه والوصول إلى تدريسه. كما كان علماء قبيلة الحُتم على صلوات وطيدة بشيوخ العلم بالأندلس، وتحققت في ضوء هذه الصلوات مكاسب علمية وحركة فكرية بينهم، فضلا عن التواصل بين شيوخ المدن الأندلسية بعضها وبعض عن طريق علماء قبيلة الحُتم؛ حيث الرحلة لطلب العلم على أيديهم.

### • من الناحية العلمية:-

**أولاً:-** تنوعت إسهامات علماء قبيلة الحُتم في الحياة العلمية بالأندلس، وتعددت عنايتهم نحو موضوعات العلم بها؛ فجاءت في العلوم الدينية، والعلوم اللسانية، والعلوم الإنسانية، والعلوم التطبيقية، وهو الترتيب الذي جاء في عناوين فصول الدراسة، لبحث دورهم في هذه العلوم. كما حفلت المصادر بتراجم علماء قبيلة الحُتم مشيرة إلى دورهم في هذه العلوم بداية من طلب العلم، ثم تدريسه مع العناية بكتبه، ثم التأليف فيه.

**ثانياً:-** جاء دور علماء قبيلة الحُتم جليلاً وعظيماً في العلوم الدينية: علوم القرآن والحديث والفقه، وتبينت براعتهم وإجادتهم في هذه العلوم بداية من طلب العلم على يد الشيوخ ثم تدريسيها ثم التأليف فيها. كما تجلّى دورهم الكبير في العلوم اللسانية: اللغة والنحو، والأدب والشعر، وهي من أجل العلوم التي عني فيها العلماء اللّخميّين بالتأليف.

**ثالثاً:-** تجلّى ضعف عناية علماء قبيلة الحُتم بالعلوم التطبيقية: كالطب والفلاحة والفلك، وهي العلوم التي اتضحت فيها دور علماء قبيلة الحُتم، ونجده قليلاً، فقد جاء اهتمامهم بالعلوم الدينية واللسانية على حساب العلوم التطبيقية، التي نبغ فيها مجموعة قليلة من العلماء كعالم الطب ابن وافد اللّخمي، ولكن في الوقت نفسه كان لابن وافد دوراً جليلاً وعظيماً بالإضافة إلى مكانته وإسهامته في

قبيلة الحُتم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

هذا الحقل، كما أشرنا. كما جاء دورهم ضئيلاً في العلوم الإنسانية: التاريخ والأنساب وعلم التعبير، وهي العلوم التي بحثناها في هذا الجانب كما تبين.

**رابعاً:-** ونشير هنا أن ترتيب فصول الدراسة وعناوينها جاء مُعبراً عن قدر دورهم في الحياة العلمية بالأندلس، فكانت مادة العلوم الدينية كبيرة جداً وعبرت في الوقت نفسه عن دورهم فيها، ثم جاء دورهم في العلوم اللسانية، وهو دور أقل قليلاً عن دورهم في العلوم الدينية، ثم جاء دورهم في العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية، وهو دور أقل كثيراً عن دورهم في العلوم الدينية واللسانية.

**خامساً:-** أضاف العلماء اللّخميّين ثروة عظيمة من المؤلفات العلمية لمكتبة التراث العلمي، وقد أسهمت بشكل كبير في تطور العلوم، والتي جاء في مقدمتها العلوم الدينية، والعلوم اللسانية، ثم العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية (التجريبية). وهذا دليل عظيم على تنوع دورهم في مختلف العلوم وجهودهم المختلفة نحوها وإن كان دورهم بترتيب العلوم المذكورة جاء تنازلياً ولم يكن ثابتاً، ولكن على كل حال، مهما توزعت أدوار علماء قبيلة الحُتم في الحياة العلمية بالأندلس، فقد باتت هنالك حقيقة لا ننكرها حين نقرر أن حياة الأسرة العلمية بالأندلس، تلك التي عبرت عنها القبيلة في مفهومها الواسع، جاءت عظيمة وجميلة بهذا الاتساع الكبير والشمول العظيم في كافة مناحي العلم بالأندلس، ولعلنا أحوج لدراسة دور القبائل العربية الأخرى في الحياة العلمية بالأندلس لتتضح الصورة كاملة، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يكن بحث دور "قبيلة الحُتم" في الحياة العلمية بالأندلس، فاتحةً لذلك بإذنه سبحانه وتعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**سادساً:-** من خلال الدراسة لتراث علماء قبيلة الحُتم باعتباره جزءاً من التراث الأندلسي، تبين لنا أيضاً أن هذا التراث لا يزال يحتاج إلى جهود الباحثين نحو جمعه وترتيبه، فهنالك العديد من

قبيلة لَحْم ودورها في الحياة العلمية بالأندلس من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري

المؤلفات العلمية التي تتعلق بعلماء قبيلة لَحْم توصلنا إلى الوقوف عليها بصعوبة، وقد تجلت هذه الصعوبة في ورودها بكتب الفهارس تارة مختصرة وتارة كاملة، فضلا عن أسماء مؤلفيها، الذين يأتي ذكرهما بها تارة بالإشارة إلى اسمه كاملا وتارة بالإشارة إلى كنيته أو ما اشتهر به، وقد أدى ذلك إلى تشتت في الوقوف على هذه العناوين والتحقق من نسبتها إلى مؤلفيها، ولعل ذلك يدفعنا إن شاء الله تبارك وتعالى إلى الوقوف على جمع وتحقيق شيئا من ذلك فيما بعد وإعداد فهرس خاص لتراث علماء الأندلس وتحقيقه إن شاء الله تبارك وتعالى، مع تبيان ما هو مخطوط أو مطبوع أو مفقود.. الخ.

**سابعًا:-** وأخيرًا إنه لطالما أن "بحث الرسالة" سمي بهذه الاسم ليحمل في طياته "رسالة علمية" فالواجب إبانة هذه الرسالة التي قدمها البحث، والتي نجد أن فحواها يتجلى في الكشف عن أثر الاجتماع على العلم وتكون بيوتات العلم عند المسلمين ودور علماء هذه البيوتات في إحراز دورًا علميًا طيبًا يقوم على نشر العلم وتعليمه والعناية بكتبه فضلًا عن التأليف فيه؛ بما ينفذ ويفيد في تهذيب النفوس وشحذ الهمم وتنوير المجتمع بثلة من خيرة أبنائه النجباء والفضلاء، ولعلنا نضع في قبيلة لَحْم النموذج والقُدوة في ضوء بيوتاتها والعلماء المنتسبين إليها بالأندلس.

كما أخبرتنا الدراسة بمكانة وجلالة الأسرة العربية وشأوها في الحياة العلمية بالأندلس، بما يكشف طيبها العطر في تاريخ الإسلام ومدى الحاجة إلى بعث هذا الطيب وهذا العطر الحضاري الجميل بين أبناء البيوتات العربية في يومنا هذا؛ لينشأ لدينا جيلا طيبًا حميدًا.

وأسأل الله العليّ القدير أن يجعل بحثنا في ميزان حسناتنا، وميزان حسنات من يقرأه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.